تُؤخذ الدنيا غلابا

— تحيةٌ للشبيبة الاسلامية البيروتية —

منذ الشبيبة الاسلامية في بيروت رواية (جابر عثرات الكرام) التي ألفها الكاتب الناهض السيد رائف الخوري ، فألقى الشاعر الكبير خليل بك مطران اليتشذ هذه القصيدة العصماء :

حيِّ العزيمةَ والشبابا والفتيةَ النضرَ الصلابا
التاركينَ لغيرهم نزقَ الطفولةِ والدعابا
الباعلي بيروتَ — وهي الثغرُ — للعلياء بابا
الطالبين من المظا نِ الحقيقةَ والصوابا
البائعين زُهى القشورِ المشترين به لُبابا
آدابهم تأبى بغير التمّ فيها أن تعابا
أخلاقهم من جوهر صافٍ تنزّه أن يُشابا
نياتُهم نيّاتُ صِدْقٍ تأنفُ المجدَ الكِذابا
آراؤهم آراء أشياخٍ وان كانوا شبابا
مهما ولوا من منصب الأعمال يُوفُوه النصابا
والمتقنُ المجوادُ يُرضي اللهَ عنه والصحابا
أنظرْ الى تمثيلهم أفما ترى العجبَ العجابا
فاقوا به المتوقين وأدركوا منه الحبابا
أسمعتَ حُسنَ أدائهم إما سؤالاً أو جوابا
أشهدتَ من إيمائهم ما يجعل البُعدَ اقترابا
أشجتكَ رنّاتٌ بها نبَروا وقد فصلوا الخطابا

قد أبدعوا حتى أرَوْ نا (جابرَ العثرات) آبا
حيًّا كما لقيَ النعيم بعزّةٍ لقيَ المذابا
لا تستبينُ به سرورا إن نظرتَ ولا اكتئابا
ما أن يبالي حادثاً من حادثات الدهر نابا
يقضي الرغائب باذلاً فيها نفائسه الرّغابا
يُخفي مبرّته ويُجبَر أن يبوح بها فيابى
لا ينثني يوماً عن الاحسا ن لو ساء انقلابا
وتحوّلت يدُه الى أحشائه ظُفراً ونابا

***

هنّ الخلائق قد يكنّ بطونَ خَبْتٍ أو هِضابا
والنفسُ حيث جعلتها فابلغْ اذا شئتَ السحابا
أو جارِ في أمن خشاشَ الأرض تنسحبُ انسحابا
كن جوهراً مما يمحّصُ باللظى أو كن تراباً
ليسا سواء : منقضٍ هبواً ومنقضٌّ شهابا
البينُ محتومٌ وآلمَه اذا ما المرء هابا
والطبعُ ان روّضته ذللتَ بالطبع الصعابا
لا تؤخذُ الدنيا اجتداء تؤخذُ الدنيا غِلابا
راجعْ ضميرك ما استطـ ـتَ ولا تُهادنه عِتابا
طوبى لمن لم يمضِ فى غَيٍّ تبيّنه فتابا
الوِزرُ مغفورٌ وقد صدقَ المفرّط إذ أنابا

***

يامُنشئاً هذي الروايةَ إن رأيكَ قد أصابا
باللفظ والمعنى لقد سالتْ مواردُها عِذابا
حقاً أجدْتَ وأنتَ أحرَ ى من أجاد بأن تُنابا
وأفدتَ فالمحمولُ فيها طاب والموضوعُ طابا
يكفيكَ فضلاً أن عمَرْتَ بها من الذِكرى خرابا
ياحُسنَ ما يُروَى إذا أروى مَعيناً لا سَرابا
أذْكرتَ مجداً لم تزل تحدُو به السَّيرُ الركابا
وعظائماً للشرق قد أعنَتْ من الغرب الرِّقابا
خفضَ الجناحَ لها العِدى وعَلا الولاةُ بها جَنابا
مشَّت على الأسناد فى الروم المطهمةَ العرابا
ويُسرِجيها الفاتحينَ أضاقت الدنيا رحابا
آياتُ مجدٍ خلَّدتْ صحفُ الزمان لها كتابا

* * *

يا قومِيَ التاريخُ لا يألو الذين مضَوْا حسابا
ويظَلُّ قبلَ النشر يُوسِعُهم ثواباً أو عِقابا
من رآه بعثٌ فهذا البعثُ لم يدَعِ ارتيابا
فاذا عُنينا بالحياة خلا الطعامَ أو الشرابا
واذا تبينّا المسيرةَ لا طريقاً بل عُبابا
لاننس من حقّ الحِمى ما ليس يألوه ارتقابا
ويحَ امرئٍ رَجّاه مو طنُه لمحمدةٍ فخابا
أعْلى احتسابٍ بذلُ من لَبّى ولم يبغِ احتسابا

إنا — ومطلبُنا أقلُّ الحق لا نغلو طِلابا
ندعو الوفيَّ الى الجفا ظ ونُكْبِرُ التقصيرَ عابا
ونقول : كن نصلاً به تسطو الحميُّ لا قرابا
ونقول : دع فخراً بكا دُ صداه يوسِعُنا سبابا
آباؤنا كانوا . . وإنّا أشرفُ الأمم انتسابا
هل ذاك مُغنينا اذا لم نكملِ المجدَ اكتسابا

* * *

يا نخبةً ملكوا النجـ ـلةَ في فؤادي والحِبابا
ورأوا كرأيي أمثل الخطط التآلف والرِّبابا
لله فيكم من دعا للصالحات ومن أجابا

خليل مطران

﴿ العاميَّة والفُصحى ﴾

قال خليل بك مطران في مقدمة ترجمته لرواية عُطيل تأليف شكسبير :

« تالله لو ملكتُ العامية لقتلتها بلا أسف ، ولم أكن بقتلي إيّاها إلاّ منتقماً لمجد فوق كل مجد ، نَزَلتْ من هيكله الذهبيّ الخالص الرّنّان منزلةَ الرِّجلين الخزفيتين القذرتين ؛ فهو فوقهما مُتَداعٍ ، وبهما مشوَّه

« منتقماً لأمة كسَرت العاميةُ وحدتَها ، وكانت عليها أكبر معوانٍ للتصاريف التي مزّقتها في الشرق والغرب كلَّ ممزّق

« منتقماً للفصاحة نفسِها ؛ وأيُّ فصاحة في خُشارة لا تصيب فيها تبر الاصل الا وقد تلوّثت بذريرات لا تحصى من أوضار الرطانات بأنواعها »